الادب العربي

الاستاذ سلامه موسى كاتب مجيد ينزع الى التجديد والابتكار وله آراء متطرفة في الدين والادب وهو فوق ذلك ينتصر دائما للقومية وينادي بالدفاع عنها واشتهر ايضا بانه من الذين يبشرون بما يعتقدون دون أن يهيأوا بغضب الناس ، يدلنا على ذلك اسلوبه الصريح الذى تظهر من الغموض والابهام والمندفع الى الفكرة يصاول عنها ويحاول تحقيقها دون لبس ولا التواء. والاستاذ سلامة موسى كما نعرفه جيشنا مولع بالهجوم والاقتحام يود من صميم فؤاده أن ترتقى درجة التفكير بين مواطنيه وأن يكونوا احرارا في ابداء آرائهم كما يحب ايضا أن يأخذ قومه بأساليب التجديد وأن ينظروا الى الحياة بمنظار الجيل وأن يرفعوا عن اكتافهم عبء التقاليد والقيود وأن يطلقوا الخمود والجمود وهو لا يتحرج فى بعض الاحيان عن التنكيل بشخصية فذة « كالمتنبي » فى سبيل الدعاية للاغراض التي بسطناها

واذا ما اخرج الاستاذ سلامة موسى كتابا جديدا توقعنا قبل ان نقرأه اننا سنظفر برأي جديد ونظرية حديثة وفكرة مبتكرة وما أحوجنا فى نهضتنا الحديثة الى كتاب مثله . وقد عالج نظرية النشوء والارتقاء ولكن مصر التى تحيا حياة فيها الكثير من جلال الروحية وعظيم الايمان ايأسته والحمد لله فأنزل الستار على هذه المعتقدات

وانغمر فى الجلال الروحى والايمان العظيم كما شاءت البيئة ، ولكنه كما قلنا وكما تقول حياته لايعرف الهدوء ولايطمئن للاستقرار واذن لابد من مناجزة ولابد من ابداء ثائرات أن لم تكن فى الدين فلتتأخذ طريقها الى الادب وهذا ما وقع فعلا فى الايام الاخيرة إذ جعل كاتبنا هدفه الادب العربى محاولا تفضيل الادب الغربى عليه واخذ يشن الغارة بمناسبة وبلا مناسبة ، وإلا فما علاقة مقابلة الباسل باشا لويلز بالمتنبي وشاعريه المتنبي ؟

يقول الاستاذان اشعار المتنبي لوترجمت للانجليزية لما اعجب ويلز ببيت واحد منها ! بينما آثار ويلز تترجم للعربية فيجد فيها القارىء لذة ومتاعا وتعبيرا عما يخالج نفسه ويجول بخاطره وأظن انه ساق هذا للتدليل علي عبقرية ويلز وقيمة افكاره ومتانة الانجليزية ورصانة تعبيرها فاذا كان هذا ما أراد فاكبر الظن انه اخطأ فى هذا القياس وكان يجب أن يعد ذلك من حسنات العربية فسهولتها واتساعها للترجمة وبلاغتها فى الاداء وروعة تشبيهاتها وطلاوة استعاراتها التي لاتحاكيها فى شيء من ذلك لغة أخرى انجليزية أو غير انجليزية - هى التى جعلتنا نعجب بما يقول ويلز واضرابه

والاستاذ يدعو صراحة الى نبذ الثقافة العربية فهل لنا أن نسأله كيف تقول هذا وأنت تتلمس آثار الفراعنة ؟؟ وكيف يتفق هذا مع ما تنادى به من الانتصار للقومية ؟ اليست اللغة أول عنوان القومية

ايكون حظ الشاعر المجيد المتنبي النبذ والدعوة لاهماله لانه عاش فى قرون بعيدة ؟؟ أظن اننا لا نزال نذكر أن القومية الانجليزية والاخلاص للفن هما سر تفضيل الانجليز لشكسبير على الهند اوعندى ان المتنبي لا يسأل عن أدبنا الحديث وركوده وخموله و بطء سيره في اللحاق بالاداب الحديثة ولكن يسأل عن ذلك ادباء هذا الزمان ومنهم الاستاذ سلامه موسى فالتاريخ يقول والاثار تنطق والانتاج يتحدث ان الاقدمين لم يخلدوا الى السكينة ولكنهم ناضلوا وجاهدوا وتكفى مقارنة بسيطة لآدابهم والآداب الاخرى المعاصرة لهم للحكم على تفوقهم وكتبهم مازالت فى ايدينا شاهدة على ما قاموا به الادب واللغه من خدمات ولا نغالى اذا قلنا انه لو تأخر الزمان بالمتنبى لما قرأنا للاستاذ سلامة ان و يلز ومائة و يلز استطاعوا أن يبرزوا عليه ، أو لو تأخر الزمان باصحاب الرؤوس الملهمة والهمم العالية التى كانت تعيش « فى القرون الماضية » لما كان الغرب وحده صاحب كل هذه الاختراعات بل كان اكثرها يحمل الطابع العربى واظن سيدي أول من يعلم بالتغيرات العظيمة والابتكارات الرائعة التى ادخلها العرب الذين كانوا « يعيشون فى القرون الماضية » على كثير من الفنون والعلوم كالفلك والحساب والجغرافيا » كما انه لا ينسى ذعر الامة المتحضرة « جدا » فرنسا من الساعه التى اهداها الخليفه هارون للامبراطور شارلمان

انى اميل الى القول بأن الادب والفنون تتأثر بعظمة الامة فمثلا

الادب العربى كان فى أوج مجده عند ما كان للعرب السلطان الواسع وتضاءل حتى قرأنا انه فى المؤخرة عندما تقلص السلطان واستكان السكان الذين ينطقون بلغة الضاد الى الظل الاجنبى . وأنا ارجو من الاستاذ أن يدانى على ستكتاب واحد للمعاصرين الذين يفكرون بفكر الثقافة الحديثة يشبه أو يوازى كتابا كالعقد الفريد مثلا !؟

أن اللغة العربية قد استطاعت بفضل جهاد ابطالها الاوائل فرض نفسها فرضا على كثير من البلدان وقويت على أن تنتشر وتغزو البلاد الخاضعة لسلطان العرب وهذا مالم تعلم به اللغة الانجليزية الآن و إذن فالعربية التى اتسعت لحضارة باهرة وانتشرت فى بلاد كثيرة كانت على استعداد لمسايرة المدنية الحديثة لو وجدت عناية كعناية اصحابها القدماء فاذا ما رأينا ان لغتنا قصرت ولم تتسع للفنون ولم تصلح هى وآدابها لهذا الجيل فلنلم أنفسنا واليك مثلا : أن ارض مصر تربتها خصبة يشهد بذلك كل انسان فاذا اتي يوم قالوا فيه بتفاهة زراعتها ونقص محصولها فالذنب ذنب الفلاح الجديد لا ذنب الارض القديمة

« * » « * »

والاستاذ سلامة موسي يحدثنا عن جهاد ويلز رغم مرضه وفاته أن فى حياة « المتنبي » من الرفعة والشجاعة والعصامية وكثرة الحوادث وتباين الاغراض بما ليس فى حياة ويلز وعشرات من امثاله . وتعال نستعرض حديث شعراء العربية عن الالم والحب والجمال والشفقة

والانسانية والطبيعة والدين ونقارن بينه و بين انتاج و يلز وقومه وانا زعيم بأن العربية ستخرج من هذه المقارنة مرفوعة الرأس ، وتعالى نتحدث عن رسالة الغفران وأثرها فى الادب العربى وخيال صاحبها « القديم » ثم نتخيل أن كاتبا غربيا «ويلزيا» أراد أن يتحدث عن اغراضها واتجاهاتها و يعرض اشخاصها هل يخرج لنا « قصة » أروع من قصة المعرى وتصويره وعرضه للاشخاص ؟!

وما لنا نذهب بعيدا وامامنا دانتى وجحيمه ، لنوازن بين خيال هذا وذاك ولنسقط من الحساب أن ابا العلاء كتب قصته قبل جحيم دانتى ثم لننظر هل انتصر دانتى عليه ؟

و بعد فهل يأذن الاستاذ الفاضل ان أقول ان عظمة المتنبى وخلود اسمه وعبقرية المعرى وفلسفته ان ينال منها نقد كل كتاب هذا الجيل ، وهل يأذن أن اقول ان كسلنا وخمودنا وعدم تمكننا من السير فى أثر الادب الحديث وشعورنا بضعفنا حيال الشخصيات القديمة وتفكيرنا بأن خلودها يطوى فى جناحه كل الاسماء كل ذلك هو السر فى حنقنا عليهم وفى حسدنا لهم ! ولكنهم كما قلت ستظل اسماؤهم مخلده وسنطوى جميعا و يبقى «المتنبى» شاعر العربية وحكيمها

والاستاذ يقول أن المدح هو كل شىء عند المتنبى وانا أقول لا ولكنه جزء من كل وشيء من أشياء وهذا الجزء كان له شأن فى الزمن الذى عاش فيه المتنبي اذ أن الملوك والامراء كانوا يرون ان

قصيدة مدح خير من فتح بلد وشأن المتنبي في ذلك شأن الكثير من عباقرة العرب فلو تلمسنا جوانب حياتهم الاخرى ودرسناهم درسا وافيا لاتسعت آفاقهم لنا ولشهدنا لهم بالصبر والعمل والمثابرة على خلق ملك عريض وحضارة عظيمة وآداب رفيعة وقد اضفنا نحن كل ذلك بتقليدنا للغرب وانضوائنا في مدنيته وفناء قوميتنا في قوميته

بقي أن نتساءل اننا لا نزال نذكر المتنبي رغم الف عام فليجازف سيدي الاستاذ وليقل لنا أي كاتب حديث سيتحدث عنه الناس بعد مائة عام وأي كتاب من كتب المعاصرين سيكتب له الخلود بجانب كتب « القرون الماضية ؟ ثم ليذكر لنا كم من الفنون الرائعة والبحوث المفيدة اوفيناها حقها من الاستقصاء حتى نضم الى فنونهم وبحوثهم ؟ وكم وزنا للشعر زدناه على اوزانهم ؟ ان في الادب العربي ثروة ضخمة مازالت بكراً ما اصلحها للقصة التي ينادي بها الاستاذ وننادي بها جميعا وأن « الميثولوجية » العربية القديمة تزخر بفكرات كثيرة لفن القصة التي قال الاستاذ بفقر الادب اليها وخلو العربية منها مع أنها تزخر بها مع تباين الآراء وعرض الشخصيات ان في كل معلقة بل في كل قصيدة تعبيرا وافيا عن آلام الانسانية وحنينا الى الطبيعة وقصة عامرة بالحوادث والاشخاص والآراء . لا ينكر ذلك الا صاحب غرض او جاهل لا يتذوق الادب او من كان كالاستاذ المحترم يحاول شحذ الهمم والعزائم واثارة النخوة ولو على حساب النابغين الامجاد

وسأعرض على القراء مقابله بين قصة مصرية تتحدث بها العامة وبين اروع ما كتب ويلز

« قصة شعبية يؤلفها العوام تتفق فى المعنى والدعوة والاتجاه مع أروع قصص الفيلسوف ويلز »

ولا يهمنى هنا أن تكون قصتنا « الشعبية » واقعية أم كانت مجرد خيال كذلك لا يهمنى أن يكون لها حظ من الانتشار بين الطبقات المفكرة كما يتحدث بها العوام دائما ويلقنونها لأبنائهم انما يهمنى أن أبرهن على أن لناقصة لم نعرف للاسف واضعها تساوى أروع القصص لويلز لندلل على أن الغرب يعرف قيمة الآراء ويقدر النبوغ وقد يكون المناسبة بعض الاثر فى دفعى للكتابة فى هذا الموضوع فنحن فى شهر « الاسراء » والقصة تدور حوادثها نحو ذلك كما ان مؤلفها يرمى الى الدعوة والدفاع عن صحة تصديق الاسراء وهذه الدراسة تبين لنا أثر القصة وقوتها وتقدير خطرها فى رؤوس القدماء حتى استعانوا بها على نشر الدعوة الدينية كذلك أحب أن أعلن أننى لا أتهم « ويلز » بالسطو على فكرة القصة الشعبية وأن يكن الاتفاق وتوارد الخواطر يعلن عن نفسه ويكفينى أن يكون لنا بل لقدمائنا ما لويلز من الخيال الرائع والفن الجميل والى القارىء تلخيص وجيز للقصتين المصرية الشعبية والغربية لويلز واترك الحكم له ، وللاستاذ الفاضل سلامه موسى عساه يؤمن معنا أن للادب القومي روعة ولذة ممتعة كالادب الغربى سواء بسواء